من شعر المقاومة في المغرب العربي

. سُوف عبيد

تُمثّل ضفافُ البحر الأبيض المتوسّط المسرح الحيّ الذي شهد اِنبعاث أهمّ الحضارات حيث رسمت بصماتُها التاريخ الإنساني، و إذا كانت تُخومه الشمالية تلامس الثلوج فإنّ حدوده الجنوبيّة تفتح على الصّحراء فثمّة إذن اِختلاف حادّ بين طبيعته يصل أحيانا إلى حدّ التناقض لكنّه يهدأ حينا فيبلغ درجة التآلف و التوافق... ذلك هو شأن الثقافات المتوسطيّة ودأبها فقد تلاقحت فيها ثقافة المغرب العربي بالثقافة الشرقيّة منذ فجر التاريخ و قد تجلّى ذلك ضمن الأبعاد الرّوحية حينا و ضمن الأنشطة الاقتصادية أحيانا أخرى و ما الواحات في المغرب العربي إلاّ شاهد عيان على العلاقات المتجذّرة بين شمال إفريقيا
و الشرق القديم (1)

فلمّا أقبل الفينيقيون على إفريقية وجدوها آهلةً تقطنها قبائلُ عديدة ذاتُ حضارة لها تقاليدها و نُظمها السياسية و الإجتماعية فلقد أبقى لنا التاريخ أسماء ملوك أفارقة قادوا القبائل و حكموها منذ أقدم العصور فقد تحدّث المؤرخ الرّوماني "يوسْتَانْ" عن أحد الملوك يُدعى يَرْيَاْض عرفه الفينيقيون لمّا ألقت سُفنُهم مراسيها على سواحل خليج تونس.(2) حيث أسّسوا قرطاج بعد أن مهّدوا لها بمدينة أُوتِيكَ قبل نحو ثلاثة قرون من ذلك و لعلّ الإسمين يشيران إلى ذلك بوُضوح:

فكلمة قرطاج تعني المدينة الجديدة و كلمة أوتيك تعني العتيقة.

و مهما يكن من أمر فإنّ المصادر القديمة – يونانية أو رومانية –لا تكفي لدراسة مَاضِي الحضارة في المغرب العربي قبل تأسيس قرطاج غير أنّ المعطيات الأدبيّة و الأثريّة تتكاثر بداية من القرن الثالث قبل المسيح حيث ساهم أبناء هذه الرّبوع في سبك الحضارة من فلسفة و خطابة و نحو و شعر و قد صنّفوها في اللغة اللاّطينية و اليونانية مفتخرين بصريح إنتسابهم إلى موطنهم فلقد قال الفيلسوف و الأديب "أَبُلُيُوس" المتخرّج من جامعة قرطاج (إنّي جَدَالِي نُوميدي) نسبة إلى القبائل في شمال إفريقيا.

و قد بلغتنا آثار أحد الشعراء القدامى كان يُدعى "فُلُورُوس" و قد وُلد بقرطاج و تعلّم فيها و لمّا بلغ أشدّه سافر إلى روما كي يشارك في مسابقة شعريّة نظّمت تحت إشراف الإمبراطور "دُمِسْيُوس" الذي تبوّأ عرش الأباطرة من سنة 81 إلى سنة 96 بعد المسيح فتفوّق على المتبارين كما شهدت

بذلك لجنة التحكيم، غير أنّ القيصر طغى و تجبّر و رفض تزكية اللجنة مشيرًا بكلّ إصرار أنّه من العار أن يفوز إفريقيّ على أبناء روما فتحدّث فُلُوروس قائلا عن تلك الصّدمة: (إنّها كادت تَذهب بعقله و روحه) (3)

إنّ اعتزاز المغاربة بأنفسهم واضح في غضون تلك الأخبار التي بلغتنا عنهم و يتجلّى ذلك الإعتزاز من التسمية التي أطلقوها على أنفسهم فهم (الأمازيغ) وهي تعني الأحرار أمّا كلمة (بربر) فإنّ الرّومان هم الذين أطلقوها عليهم عندما رفضوا الإنقياد إلى سلطانهم و الإذعان إلى عبوديتهم (4) و قد سجّل الشّعر العربيّ القديم هذا الشعور بالأنفة لدى سكّان الشمال الإفريقي و ذلك في مقطوعة لسليمان الغافقي وهو من الجُند الوافدين على إفريقية في أواخر عهد بني أميّة حيث قال في أحد مواقف قومه مع بعض الثوّار من البربر:

و ما أنْ صَدَدْنَا عَنْهُم خَوْفُ بَأْسِهِمْ
و حَاشَا لَنَا أَنْ نَتَّقِي بَأْس بَرْبَرَا
وَ إِنَّا إِذَا مَا الحَرْبُ أَسْفَرَ نَارُهَا
لَنَلْقَى المَنَايَا دَارِعِينَ و حُسّـرَا
و نَغْدُو بِصَبْرٍ حَتَّى تَشْتَجَرَّ الْقَنَا
فَلَسْتَ تَرَى مِنَّا عَلَى الْمَوْتِ أَصْبَرَا
و لَكنْ أَرَدْنَا ذُلَّ قَوْمٍ تَطَاوَلـــُوا
علَيْنَا أَبْدَوْا نَخْوَةً و تَكَبــــــــــرُا (5)

يمكن أن نعتبر الشّاعر أبا ذؤيْب الهذلي أوّلَ شاعر عربيّ دخل حدود إفريقيّة وصلتنا أخباره وذلك في كتاب اِبن قتيبة (الشعر و الشعراء) (6) و في كتاب الأغاني (7) و كذلك في الكتب التي اِهتمّت بفتح إفريقيّة مثل كتاب (طبقات علماء إفريقية) (8) لأبي العرب بن تميم و كتاب (معالم الإيمان) (9) للدبّاغ و كتاب (الحُلل السندسية) (10) للسّراج.

حيث تؤكّد تلك المصادر أنّ أبا ذؤيب الهذلي قدم مع اِبنه واِبن أخيه على الخليفة عمر بن الخطّاب فقال له : أيّ العمل أفضل يا أمير المؤمنين ؟ فقال عمر: الإيمان بالله و رسوله، قال: قد فعلتُ، فأيُّهُ أفضل بعده؟ قال: الجهاد في سبيل الله. قال : ذلك كان عليَّ ، و إنّي لا أرجو جنّةً و لا أخاف نارًا، ثمّ خرج فغزا في الغزوة الأولى التي تعرف بغزوة العبادلة السبعة سنة 27 للهجرة لأن من بينهم عبد الله بن أبي سرج

و عبد الله بن الزّبير و عبد الله بن عمر و عبد الله بن عبّاس و عبد الله بن جعفر و غيرهم...
و يذكر صاحب الأغاني أنّ أبا ذؤيب الهذلي أنه عندما شعر باقتراب أجله و الجيش عائد من إفريقية قال لآبن أخيه : يا أبا عبيد احفر ذلك الجُرف برمحك ثمّ أعضد من الشجر بسيفك ثمّ أُجررني إلى هذا النّهر فإنّك لا تفرغ حتّى أفرغ فاغسلني و كفنّي ثمّ اِجعلني في حفيري و أُنثر عليّ الجرف برمحك و ألق عليّ الغصون و الشّجر ثمّ اتبع النّاس فإنّ لهم رهجةً تراها في الأفق كأنّها جهامة و قال وهو يجود بنفسه :

أَبَا عُبَيْدٍ رُفِعَ الكتـــــابُ *** واِقترب الموعد و الحـــــسابُ
و عند رَحْلِي جمل نِجَابُ *** أحمرُ في حاركه اِنتصبـــــابُ

فكان يُقال: إنّ أهل الإسلام أبعدوا الأثر في بلاد الرّوم، فما كان وراء قبر أبي ذؤيب قبرٌ يُعرف لأحد من المسلمين (10).

و ما كاد يرسخ الفتح العربيُّ الإسلاميّ لشمال إفريقيا ـ بعد فترة كرّ و فرّ ـ حتّى تمسّك أهله بالدّين الإسلامي وجرت على لسانهم اللغة العربيّة فأخذوا يتشبهون بالفاتحين في أخلاقهم و أزيائهم وعوائدهم و قد كان الاندماج يتزايد مع مرور الزّمن بفضل الوشائج القديمة بين المغرب و المشرق عبر الفراعنة و الفينيقيين من ناحية و بفضل تعليم اللغة العربيّة و أصول الدّين و رواية الحديث من ناحية أخرى جيلاً بعد جيل.

و ممّا أكّد رسوخَ اللغة العربيّة وزادها انتشارًا ما أمر به عبد الملك بن مروان الخليفة الأموي من اِستعمالها في الأمور الرّسمية التي لها مساس بدواوين الحكومة في الولايات الإسلامية جميعا و ما تبع ذلك من إلغاء اللغات الأعجمية التي كانت شائعة بين الشعوب المفتوحة كالرّومية في الشام و اللاّطينية في إفريقية والقبطية في مصر والبهلويّة في بلاد فارس وما جاورها و كان ذلك منذ سنة 75 للهجرة و قد دعّم الخليفة بن عبد الغرير هذا المبدأ في البلاد الإفريقية بإرسال بعثة دينية تتألّف من عشرة فقهاء من مشاهير التابعين وفدوا على القيروان (11) التي – منذ منتصف القرن الأوّل الهجري أصبحت قاعدة المغرب العربي فهي المركز الحربيّ و محطّ الرّحال و العيال و منطلق نشر الدّعوة و اللغة العربيّة من نواحيها الشرقية إلى بلاد الأندلس و من سواحلها الشمالية إلى جنوب الصحراء الكبرى عند تخوم نهر السينغال و النّيجر فلم تأت سنة 92 هـ حتّى كانت سفن طارق بن زياد الإفريقي تعير إلى أوروبا و على متنها آلاف الفاتحين و قد اِمتزجت فيهم الرّوح العربيّة بالوجدان البربري و منذ ذلك العهد صار شمال إفريقيا الجناح المغربي للإمّة العربيّة يتأثر بما يطرأ عليها داخليا و خارجيا بحسب الأمصار و الأعصار.

لقد سجّل الشعر العربيّ بعض الوقائع التي دارت رحاها في الفترة الأولى للفتح فهذا الحَكَمُ

بن ثابت السّعدي كان في جُند الأغلب التميمي الملقَب بالشهيد (سنة 150 هـ) يقول في رثائه :

لقد أفسد الموتُ الحياة بأغلبَ
غداة غدا لِلْمَوْتِ في الحرب مُعْلِما
تبدّت له أُمُ المنايا فأقصدت
فإن كان يلقى الموتَ في الحرب صَمَّما
أخا غزواتٍ ما تزال جيادُه
تُصبّح عنه غارةً حيث يَمَّـــــمَا
أتته آلمنايا في القنا فاِقْـتَرَمْنَه
و غامرنه في ملتقى الخيل مُسْلِمَا
كان على أثوابه من دمائه
عبيطًا و بالخدّين و النّحر عندما
فَبَانَ شهيدًا نال أكرم ميتةٍ
ولم يَبْغِ عُمْرًا أن يَطُولَ و يَسْقَمَا (12)

و هذا أحمد بن سفيان بن سوادة بعد أن تولّى عمل بلاد الزّاب (جنوب الجزائر) ثمّ طرابلس نجده يشارك في فتح صقليّة و يخوض عديد المعرك على سواحلها ضدّ الرّوم البزنطيين فيفتخر قائلاً من شعر الحماسة :

قرّبوا الأبلق إنـــي أعرف الخيل العـتاقا
وعليها أصرع الأبطال طعنًا و اِعتناقـــا
أخطب الأرواح والأنفس بالرّمح صَدَاقَـا
و أُروّي من نجيع الهام أسيفًا رِقَـــــاقَا (13)

أمّا عبد الرحمان بن زياد بن أَنعم فقد أسره الرّوم في إحدى الغزوات على بعض الجزر الواقعة في الحوض الغربي للمتوسّط و قد نقل اِبن الأثير في الكامل عند سنة 116 هـ أنّ عبد الله بن الحبحاب أميرَ إفريقيّة سيّر عبر البحر جيشا إلى صقليّة فلقي مراكب الرّوم فاِقتتلوا قتالاً شديدًا فاِنهزم الرّوم و كانوا قد أَسَرُوا جماعة من المسلمين منهم عبدُ الرحمان بن زياد بن أنعم الذي بقي أسيرًا إلى سنة 121هـ (15)

و أخبرنا حسن حسني عبد الوهاب عن إطلاق سراحه قائلاً إنّه لمّا رُفع إلى ملك الرّوم في حبسَه دخل عليهم الخدم بالأكل من الحار والبارد ما يفوق المقدار إذ خطرت اِمرأة نفيسةٌ فأُخبرت بحسن

صنيع الملك بالعرب فمزّقت ثيابها و سوّدت وجهها وأقبلت عليه بمنظر منكر، فقال لها: مالك؟ قالت: العرب قتلوا اِبني و زوجي وأنت تفعل بهم الذي رأيت، فأغضبه فقال: عليَّ بهم فصرنا بين يديه سِمَاطيْن فأمر سيّافه بضرب عنق واحدٍ واحدٍ حتّى قرب منّي فحرّكت شفتي و قلت: الله الله ربّي و لا أشرك به شيئًا، فأبصر الملك فعلي و قال: قَدِّمُوا شمّاس العرب – يُريد عَالمهم، فقال لي: ماذا قُلتَ آنفًا؟ قلتُ: الله ربّي و لا أُشرك به شيئًا. فقال: و من أين عَلِمْتَ هذا؟ قلت: نبيّنا أمرنا به، فقال: و عيسى أمرنا بها أيضا ثمّ أطلقني
ومن معي (16)

وعبد الرحمان بن زياد بن أنعم من الذين نشأوا بإفريقية و أخذوا اللغة و القرآن و الفقه عن الأفواج الأولى من التابعين إذا وُلد في نحو سنة 74 هـ و بعد التحصيل اِرتحل إلى المشرق حيث أخذ من الحجاز و الشام و العراق و وصلتنا أبياتٌ شعريّة يشتاق فيها إلى أهله و بلده قائلاً :

ذكرتُ القيروانَ فهاج شوقي
و أين القيروان من العراقِ
مسيرة أشهر للعِيس ِ نصًا
على الخيل المثضَمّرَةِ العِتَقِ
فَبَلِّغْ أنْعَمًا و بني أبيه
و مَنْ يُرجَى لَنَا وَلَهُ التّلاَقي
بأنَّ الله قد خلّى سبيلي
و جَدَّ بِنا المسيرُ إلى مزاقِ (17)

ولئن كُتب لعبد الرحمان بن زياد بن أنعم العودة من المشرق ثمّ التدريس و الجهاد و الإفراج بعد الأسر بل والنجاة من حدّ السّيف، فإنّ مُجير بن إبراهيم بن سفيان وهو من الأسرة الأغلبية، قد قضى نحبه في جزيرة قلّورية بين صقليّة و تونس (18) بعد أن أسره الرّوم في غزوة بحريّة فمات غريبا في القسطنطينية بعد أن حُمل إليها و قد أرسل قصيدة طويلة من محبسه رواها النّاس في آخر القرن الثالث الهجري و قد جاء منها:

أَلا لَيْتَ شِعْرِي ما الذي فعل الدّهر
بإخواننا يا قيروانُ و يا قَصْرُ
و نحن فإنّا طَحْطَحَتْنَا رحى النَّوى
فلم يجتمع شَمْلٌ لَدَيْنَا وَ لاَ وَفْرُ

رأينا وجوه الدّهر وهي عوابسٌ
بأعيُنٍ خَطْبٍ في ملاحظها شَزْرُ

و يقول في آخرها في نَفَسٍ بين الأمل و اليأس معبرًا عَن صدق المعاناة :

لعلّ الذي نَجَّى من الجُبّ يُوسُفًا
و فرّج عن أيّوبٍ إذْ مَسَّهُ الضُرُّ
و خلّص إبراهيم من نار قومه
وأعلى عصا مُوسى فَذَلَّ له السِّحْرُ
يُصَبِّرُ أهل الأسر في طول أسرهم
على معضلات الأسر لاَ سَلِمَ لأسْرُ (19)

إنّ الغزوات البحريّة التي اِنطلقت من السّواحل المغاربية نحو جزر الحوض الغربي من البحر الأبيض المتوسّط قد أوردت شعرًا، بالإضافة إلى معاني الحماسة و الفخر و الحنين إلى الأوطان و الرّثاء التي فيه، فإنّه يتضمّن أيضا وصف الأساطيل وهو لعمري غرض جديد بالنسبة إلى مدوّنة الشعر العربيّ القديم.

الشاعر الأندلسي محمد بن هانئ الذي توفّي سنة 363هـ قد وصَف أسطول المعزّ لدين الفاطمي مفصّلا القول في سُفُنه و في القذائف الناريّة التي تطلقها على الرّوم خاصة :

أَمَا و الجوارِي المنشآتُ التي سَرَتْ
لقد ظاهرتها عُدّةٌ و عديدُ
و لله ما لا يروقُ كتائـــــــــبُ
مُسَوّرَةٌ تَحْدُو بها و جُنُودُ
و ماراع مُلْكُ الرّوم إلاّ اِطّلاَعُهَا
تَنَشَّرُ أعلامٌ لها و بُـنودُ
من الطّير إلاّ أنّهنَّ جوارح
فليس لها إلاّ النُّفُوسُ مَصِيدُ
من القادحات النّار تُضرَم للصِّلَى
فليس لها يوم اللّقاء خُلودُ
إذا زفرتْ غيظًا ترامت بِمَارِجٍ
كما شبَّ من نار الجحيم وَقودُ
فأفواهُهُنّ الحامياتُ صواعقٌ

و أنفاسهنَّ الزافراتُ حديدُ (20)

و يؤكّد الشاعر علي بن الإيّادي على القوّة النّارية التي يمتاز بها الأسطول الفاطمي بالإضافة إلى اِكتسابه الدبّابات التي يكتسح بها الأسوار و الحصون فهو القائل في وصف أسطول القائم بالله الفاطمي :

أَعْجِبْ لأسطول الإمام محمّدِ
وَلِحُسْنِهِ وزمانه المُسْتَغْرِبِ
كقوادم النّسر المرفرف عُرّيت
من كاسيات رياشُه المتهدّب
سَجَرُوا جَوَاحِمَ نَرِهَا فتقاذفوا
منها بالسِنّ مَارِجَ مُتَلَهّبِ
جوفاءُ تحمل كوكبًا في جوفها
يوم الرّهان و تستقلّ بمركب
يتركّب الملاّح من دبّابةٍ
لورام يركبُها الْقَطَا لَمْ يَرْكَبِ
وكأنّما جِنُّ اِبن داوود إذا
ركبوا جوانب بأعنف مركب
وعلى مراكبها أُسود خلافةٍ
تختال في عُدد السّلاح المُرْهِبِ (21)

قد شهدت السّواحل المغربيّة عديد الوقائع بين الرّوم و الأسطول العربي الذي أنشئت قاعدته على يد حسّان بن النعمان الذي فتح قرطاجنّة سنة 69 هـ و أسّس في تونس دار صناعة السّفن حيث جلب إليها المهرة من أقباط مصر فطوّر بذلك الأسطول الإفريقي القديم الذي كان من عصر قرطاج و عندما اِنتهى أمر البلاد إلى الأغالبة تمكّنوا بذلك من فتح جزر الحوض الغربي للمتوسّط مثل صقليّة و مالطة
وكورسيكا وميروقة و غيرها (22) و شيّدوا بالإضافة إلى ذلك على الثغور الإفريقيّة رباطات عديدة وهي حصون للمراقبة و للدّفاع جعلت للتصدّي إلى غزوات الرّوم البحريّة لكنّها أُستعملت في سنوات الهُدنة مدارس لتعليم اللّغة و حفظ القرآن و لتركيز أصول الدّين الحنيف.
يقول أحد أولئك المرابطين وهو عبد الوهّاب الزّاهد :

نمتُ على برج شاطئ البحر فإذا أبو الأحوص بين شرّافتين في سواد اللّيل وهو يقول :

أَبَوْا أن يرقدوا اللّيل
فهُم لله قُوّامُ
أَبَوْا أن يُفطروا الدّهر
فهم لله صُوَامُ
أَبَوْا أن يخدموا الدّنيا
فهم لله خُدَّامُ

و تُوفّي أبو الأحوص بسوسة سنة 284 للهجرة (23) مُرابطا بها و كان أبو الأحوص – كما نُقل عنه – مُتَقَلّلاً من الدّنيا زاهدًا فيها راغبا في التعليم و نشر الدّعوة و الذود عن الحقّ لدى أمراء عصره و لا يخشى فيه لومة لائم وهذا شأن أغلب الفقهاء في العصور الأولى للعهد العربي الإسلامي حتّى أن الإمام سُحنون كثيرًا ما كان يَتَمثّل بقوله :

كُلّ شيءٍ قد رأه نُكْرًا
غير ركز الرّمح في ظهر الفرس
و قيام في حناديس الدّجى
حارسًا للقوم في أقصى الحرس (24)

وقد صوّر اِبن رشيق القيرواني (ت 456 هـ) حالة المسافر بحرًا بين إفريقيّة و صقليّة وما ينتابه من الخوف بسبب تربّص الرّوم بالمسلمين في عرض السّواحل رغم سيطرتهم على أغلب الموانئ فيها إذ يقول :

و لقد ذكرتكِ في السّفينة و الرّدى
مُتَوَقَّعٌ بتلاطم الأمـــــــواج
و الجَوُّ يهطل و الرّياح عواصف
واللّيل مُسْوَدُّ الذّثوائـــب داجِ
و على السّواحل للأعادي عسكر
يتوقّعون لغارةٍ وَ هِيَـــــاجِ (25)

وَمَا كاد القرن الخامس للهجرة ينتصف حتّى أمست البلاد في المغرب العربي مقسّمة إلى

دويلات منكفئة عن نفسها سواء في الأندلس أو في إفريقية مرورًا بالمغرب الأقصى و الأوسط و قد تراجع المدّ العربيّ الإسلاميّ فغزا النّورمان الجزر واِستولوا على صقليّة المقابلة لتونس وعلى مَيْرُقَة المقابلة للجزائر و على غيرهما من الجزر في الحوض الغربي للمتوسط حتّى نزح عنها كلّ مسلم اِستطاع الفرار بنفسه

و بعياله و بماله و قد سجّل الشّاعر عبد الجبّار بن حمديس هذه الملابسات في كثير من شعره.

وُلد اِبن حمديس سنة 447 للهجرة في سَرْقُوسَة بصقليّة و نزح عنها على إثر غزوها من طرف النّورمان وهو في الرّابعة و العشرين من عمره فتوجّه إلى إفريقيّة ثمّ إلى الأندلس بدعوة من أمير إشبيلية المعتمد بن عبّاد لكن الشاعر رجع إلى إفريقية بعد أن أسر يوسف بن تاشفين المعتمد بن عبّاد سنة 484 هـ بأغمات في جنوب المغرب الأقصى فاِتّصل ببني زيري في المهديّة و ببني خرسان في تونس و بني حمّاد في بجاية (الجزائر) و قيل إنّه توفّي بجزيرة ميروقة سنة 527 هـ.(26)

يتذكّر اِبن حمديس موطنه صقليّة قائلاً في حسرة و ألم :

نَفَى هَمُّ شيبي سرورَ الشَّباب
لقد أظلم الشّيب لمّا لأضاءَ
قضيْتُ لظلّ الصّبا بالزّوال
لمّا تحوّل عنّي وَفَـــــاءَ
أتعرف لي عن شبابي سُلُوًّا
و مَنْ يَجِدِ الدَّاءَ يبغ الـدّواءَ
وراءك يَا بَحْرُ لي جـــنّةٌ
لبستُ النّعيم بها لا الشــقاءَ
فَلَوْ أنَّنِي كنتُ أُعطى المُنى
إذا منع البحرُ منها اللّقــاء
ركبتُ الهلال بها زورقًا
إلى أن أعانق فيها ذُكــاء (27)

و يصف اِبن حمديس في قصيدة أخرى شجونه عندما نزح عن صقليّة متوقّفًا عند المقارنة بين ماضي

صقليّة و بين حاضرها في شيء من التفصيل و ذكر للمدن ومؤكدا على لوعة النكبة وجليل المُصاب :

أَعَاذِلُ دعني أُطلقُ العبرةَ التي
عدمتُ لها من أجمل الصّبر حَابِسَا
فإنّي اِمرُؤٌ آوي إلى الشجن الذي
وجدتُ له في حَبَّةِ القلبُ نَاخِـــسَا
لَقَدَّرْتُ أرضي أن تعودَ لقومها
فساءت ظنوني ثمّ أصبحتُ يائـسا
و عَزَّيْتُ فيها النَّفْسَ لمّارأيتُها
تُكابْدُ داءً قاتِلَ السُّمّ نَاحِـــــــسَا
و كيف وقد سِيمَتْ هَوَانًا و صَيَّرَتْ
مَسَاجِدَهَا أيدي النَّصارَى كَنَائِـسَا
صِقليّةُ كَادَ الزمانَ بلادَهـــــا
وكانت على أهل الزّمان مَحَارِسَا
فكم أَعْيُنٍ بالخوفِ أمست سَوَاهِرًا
و كانت بِطيب الأمن منهم نَوَاعِسَا
أرى بَلَدِي قد سَامَهُ الرُّومُ ذِلَّةً
و كان بقومي عِزّهُ مُتَقَاعِـــسَا
و كانت بِلاَدُ الكُفْرِ تلبِسُ خَوْفَهُ
فأضحى لِذاكَ الخوفِ منهنَّ لاَبِسَا
عَدِمْتُ أُسُودًا منهُمُ عربيّةَ
تَرى بين أيديها الْعُلُوجَ فَرَائِسَا
و مَا خِلْتُ أنَّ النَّار يبرُدُ حَرُّها
على سَعَفٍ لاَقَتْهُ في القَيْظِ يَابِسَا
أَمَا مُلئتْ غزوًا (قَلَوْرِيَّةٌ) بِهِمْ
و أرْدَوْا بَطاريقًا بِها و أَشَاوِسـَا
هُمُ فتحوا أغلاقَها بسيوفهم
وهم تركوا الأنوار فيها حَنَادِسَا
أَفِي (قَصْرِيَنِّي) رقعةٌ يَعْمُرُونَهَا

ورسمٌ من الإسلام أصبح دَارِسَا

وَمِنْ عَجَبٍ أنّ الشياطين صَيَّرَتْ

بُرُوجَ النّجُوم المُحْرِقَاتِ مَجَالِسَا

و أضحتْ لهم (سَرْقُوسَةٌ) دَارَ مِنْعَةٍ

يَزُورُنَ بالدّيْرَيْنِ فيها النّـَواوِسَا

مَشَوْا في بِلاَدٍ أهلُها تحت أرضها

وَ مَا مَارسُوا منهم أَبِيًّا مُمَـارِسَا

وَلَوْ شُقِّقَتْ تلك القُبورُ لأنهضتْ

إليهم من الأجْداثِ أُسْدًا عَوَابِسـَا

فديوان اِبن حمديس يتضمّن عديد القصائد التي يذكر فيها الرّوم سواء في غزوهم لصقليّة أو في تحويلهم للمعالم العربيّة الإسلامية إلى وظائف أخرى مضمّنا شعوره بالحسرة و اللّوعة على فقدان الوطن بل حتّى الغزليات التي وردت في ديوانه تعبّر من خلال صورها عن الصّراع الذي كان قائمًا بين العرب و الرّوم مثلما يلوح من خلال هذه المقطوعة ذات الرموز الموحية :

وذاتِ ذوائب بالمسك ذابت

بلغتْ بها المُنى وهي التمنّي

منعّمة لها إعزاز نـــــفس

يُصرّفُ دلُّها في كُلّ فَـــنِّ

شَمُوسٌ من ملوك الـــرّوم

قامت تدافع فاتكًا عن فتح حصن

بخدٍّ لاَحَ فيه الوردُ غَضًّا

و غُصْنٍ ماس بالرُمّان لـــدْنِ

فطالت بيننا حَرْبٌ زَبُونٌ

بلا سيفٍ هناك و لا مِجـــَنِّ

وفاضت نفسُها الحمراء منها

و سالت نفسي البيضاء منّي (28)

أما في العصر الحديث فإن الأمير عبد القادر الجزائري خلال النصف الأول من القرن التاسع

عشر يمثل بكل وضوح صورة الشاعر الملحمي الذي استنفر بني وطنه للدفاع عن الجزائر فقاد المقاومة إلى سنة 1848 م مسجلا في عديد القصائد صورة الفارس المغوار مثل قوله :

شَدَدْتُ عليهم شدّةً هاشميّةً
وقد وردوا وِرْدَ المنايا على القوى
وَذا دَأْبُنَا فيه حياةٌ لِدينِــنَا
وَرُوح جِهَادٍ بعد ما غُصنُــه ذَوَى

قد تضمّن شعر الأمير عبد القادر معاني الفخر القديم بما فيها من شجاعة و إباء و قد أضاف إليها معاني الجهاد الدّيني و المقاومة الوطنية مع الاعتزاز بأصالته و في شعره نلمس ذاتيته الخاصّة التي يمزجها في قصائده مثل قوله :

تسائلني أُمُّ البنين و إنّــــها
لأَعلم مَنْ تحتَ السّماءِ بأحوالي
ألم تعلمي يا ربّةَ الخِدْرِ أنَّني
أُجلّي هُمُومَ القوم في يوم تَحْوَالي
و أغشى مضيق الموتِ لا مُتَهَيِّبًا
و أحمي النِّسا في يوم رَوْعٍ و تَهْوَالِ
أميرٌ إذا ما كان جيشي مُقبلاً
و مُوقِدُ نَارَ الحرب إذا مَا لَهَا صَالِ
ومن عادة السّادات بالجيش تحتمي
وبي يحتمي جيشي و تَمنع أبطالي
و عني سلي جيش الفرنسيس تعلمي
بأنّ مناياهم بسيفي وعسّـــالي (29)

غير أنّ حركة المقاومة في الجزائر لم تتمكن من رفع التحدّي الفرنسي واستعماره و كذلك لم تفلح حركات الإصلاح و النهضة في تونس و في بقيّة الأقطار العربية من الصّمود في وجه الغزو الأجنبي الذي بات جاثِمًا على الأبواب و إنّ الاحتلال الفرنسي للجزائر قد مهّد لاحتلال تونس ومن بعدها المغرب الأقصى ثم عمد الاحتلال الفرنسي على إثر ذلك إلى طمس معالم الشخصيّة الوطنيّة المغاربية في مختلف أبعادها محاولاً إلحاق المغرب العربي و دمجه في كيانه السياسي و الثقافي و

الدّيني و الحضاري الشامل بالاضافة إلى اِستغلال ثرواته المتنوّعة و قد كانت محاولات التجنيس – أي الحثّ و التجشيع على الدّخول في الجنسيّة الفرنسية بالنّسبة للأهالي المغاربة جميعًا – كانت تلك المحاولات تلقى الرّفض و التشهير بل
و الصدام العنيف بين سلطة الاحتلال و بين مختلف الحركات الوطنيّة في كلّ من المغرب الأقصى و الجزائر و تونس.

الشّاعر محمّد الشاذلي خزندار (1887- 1954) عبّر عن رفضه للتجنيس قائلاً :

لستُ المبدّلَ جـــنسي
كـــلا و لا أَتَـــــــرَدَّدْ
إن كان يُرضي الفرنسي
فليس يُرضي محمّـــــــدْ
*
قالوا: التجنّس كُفـــرْ
قلتُ: أقبحُ كـــــفـــــرْ
فأنت قبله صـفـــــرْ
وبعدَه تحت صِفْـــــــــرْ
*
سمعتُها إذا تُـــادي
إليّ يا اِبني إِلَـــيّـــــا
الله يـــــا أولادي
جنسي يعـزُّ عَلَـــيّـــــا
أُمَّاهُ خيرُ البـــلادِ
أرعاكِ ما دُمْتُ حَـــيَّـــا (30)

و قد يتبادر للذّهن من أوّل وهلةٍ أن اِنتصاب الاِحتلال الفرنسي بالمغرب العربي قد تمكّن من تعطيل اللغة العربيّة و من إيقاف مظاهر الشعور الوطني و القومي و أنّ الكتّاب من شعراء و أدباء و خطباء و فقهاء قد خَفَتَتْ أصواتهم و كبتت أقوالهم و أنّ حركة المقاومة قد اِمّحت من الطبقات الشعبيّة، و لكنّ الواقع الملموس و التّاريخ المَدرُوس يُثْبتان خلاف ذلك تَمَامًا رغم بعض فترات

السّكون التي سرعان ما ينبثق بعدها الشعور بالاعتزاز ومواصلة النضال من أجل الاستقلال و التحرر

دعا الشاعرمحمد العيد آل خليفة الجزائريين هو أيضا إلى التشبّث بأصالتهم و الذّود عن ثوابتهم الوطنية و القومية عندما حاولت السلطة الاِستعمارية محو الذّاتية الجزائرية في مشروع لإدماج الجزائريين ضمن الكيان الفرنسي حيث نراه يقول :

يا ابن الجزائر كُنْ مستوفر الحَذَرِ
فإنّ قانونك الشّخصيَّ في خَطَرِ
اِحتجَّ إنّ اِحتجاج الشّعب ظاهرةٌ
بأنّه مرهف الإحساس في البشر
لا تَرضَ للدّين لا مَحْوًا و لا غَرَرًا
تَنَزَّهَ الدّينُ عن مَحْوٍ وعن غَرَرِ
فمن يعيش بلا دينٍ يدين به
كَمَنْ يعيشُ بلا سَمْعٍ و لاَ بَصَرِ (31)

و يمكن الجزم في هذا السّياق أنّ اللغة العربيّة طيلة فترة الاِحتلال الفرنسي قد عرفت اِنتشارًا يفوق العهد الذي سبقه بكثير و ذلك راجِعٌ لشعور ردّ الفعل الذي رسّخته مؤسسات ثقافيّة عتيدة في المغرب العربي مثل جامع عقبة بالقيروان و جامع الزّيتونة بتونس و جامع القرويين بفاس و كذلك الجمعيّات التعليمية الأهلية بالمدن العريقة مثل تلمسان و بجاية و مرّاكش و غيرها من مدن الواحات بالجنوب التي ظلّت جميعًا محافظة على مقوّمات الشخصية الوطنية في أبعادها المغربيّة و العربيّة و الإسلاميّة من وجدان و لغة و دين رغم محاولات الطمس و الفرنسة (32) و غدت كلّ مناسبة سياسية تظهر في الدّاخل أو الخارج إنّما توّجّح الشعور الوطني بالانتماء و التحدّي و التضحية من ذلك مناسبة الغزو الإيطالي لليبيا في مطلع القرن العشرين الذي اِستنفر الشعراء و الأدباء مُنددين و داعين إلى المقاومة و ردّ العدوان كما عبّر الشّاعر سالم بن حميدة قائلاً في قصيدة طويلة :

وليلٍ حالك الجلباب أرخى
سَدُولاً داجياتٍ من ظلامِ
هَلُمُّوا – برقةُ – حُفَّت بِغَمٍّ
يُرى من دونه هَوْلُ الزّحامِ
فهل من مسلمين يعزّ عنهم

ضياع مفاخر السّلف العظامِ
فيُلْقُونَ النّفوس إلى جهادٍ
يُصان بفضلها دِينُ التُّهَامِي
فما عاش الذّليلُ بفضل ذُلٍّ
و لا مات العزيزُ من الصِّدامِ (33)

وقد كشف الشّاعر الصّادق الفقي شعارات المستعمرين و أباطيلهم وهم الذين كانوا يدّعون أنّهم جاؤوا لخدمة تمدّن البلاد و نشر الحضارة بها فما كان منهم إلاّ التعسّف و الظلم و الفساد حيث يقول :

يا هاجرًا ترك البنين صِغارًا
أترى الطّيُور تُفارق الأوكــار
يا غافلاً ينسى طرابلس التي
تركت جميع المسلمين حيارى
يا نائمًا إنّ البلاد عليلةٌ
طُرحت على حدّ السّيوف مِرَارًا
جيشٌ من الطليان داس حقوقهم
حصروا البلاد و دمّروا الأسوارا
جاؤوا لتمدين البلاد فصيّروا
تلك الرّياض بَلاَقِعًا و قِفَــارًا
حرقوا المزارع و المواقع و الرّبى
و أتوا لأنواع البَلاَ أَطْوَارًا
نشروا جرائم الفساد و غيّروا
خِصْبَ المزارع ليزرعوا الأقذارا (34)

قام شعر المقاومة في المغرب العربي أيضًا على الدّعوة و التحريض المباشر لرفض الأمر الواقع و تحدّي الاستعمار منذ مطلع القرن العشرين مع الطموح إلى التحرّر و الإنعتاق، الشّاعر محمد الهادي المدني يقول في هذا السياق مذكّرًا بالأمجاد :

أَتُرى يعود المَجْدُ مَجْدُ بلادي

أم هكذا نبقى على استعبــاد

أتُرى نهبُ لِنَيْلِ حقٍ ضائعٍ

أَتُرى تُحطّم مُرْهِقَ الأَصْفادِ

و نُعِيدُ فخرًا أحكمت بُنيانه

أيدٍ أُباةٍ ذَادةٍ أَمــْجَـــــــادِ

ثم تتصاعد لهجتُه في قصيدة أخرى للحثّ على النّضال مخاطبا كلّ وطنيّ غيور:

كفى ما قد مضى فانهض و كسّر

قيود الذلّ و اِنْــأَ عن الْهَوَانِ

لقد أصبحتَ عَبْدًا مُستَـــــذلاً

تُطأطِئ للأجانب في اِمتهــانِ

هَلُمَّ فزعزعْ الدّنيا بصـــوتٍ

تَخِرُّ له جبابرة الزّمـــــــانِ

مُنَاهُمْ أن يُبيدُونا جميـــــعًا

لكيْ يتربّعُوا في ذا المكـــان (35)

إنّ سجلاّت المقاومة زاخرة بالنضالات و التضحيات إبّان الاستعمار الفرنسي و الإيطالي للمغرب العربي في مختلف المناطق و عبر توالي الأجيال من ثورة عمر المختار في ليبيا إلى ثورة عبد الكريم الخطابي في المغرب و من شهداء أفريل 1938 في تونس إلى شهداء ماي 1945 بمدينة سطيف في الجزائر و قد واكب الشعراء تلك الأحداث في قصائدهم التي لا تُحصى و لا تُعَدُّ فهي تُلهم مرّة و تستلهم أخرى من شذرات الكفاح عبر مراحل المقاومة التي كلّفت المغاربة الدّموع و الدّماء...

الشاعر مفدي زكرياء سجّل اِستشهاد أحد الأبطال الجزائريين عندما قيد لتنفيذ حكم الإعدام عليه :

قام يختال كالمسيحِ وئيـــدَا

يتهادى نشوان يتلو النّشيدَا

باسم الثغر كالملاك أو الطفل

يستقبل الصّباح الجديــدا

شامخا أنفه جلالاً و تيــهًــا
رافعًارأسه يُناجي الخُلودَا
حالمًا كالكليم كلّمه المجــدُ
فشدّ الحبال يبغي الصُّعُودَا
و تسامى كالرُّوح في ليلة القدر
سلاَمً يَشعُّ في الكون عِيدَا
وِامتطى مذبح البطولة معراجًا
و وافى السّماءَ يرجو المزيدا
و تعالى مثل المؤذن يتـــــلو
كلمات الهُدى و يدعو الرّقودا
صرخةٌ تُرْجِفُ العوالمَ منها
و نداءٌ مضى يهزُّ الوجودا
اِشْنُقوُني فلستُ أخشى حبالاً
و أُصْلُبوني فلستُ أخشى حديدا (36)

وعنـدما أُستشـهد الرّعيـم فرحـات حشّـاد سـنة 1952 م برصـاص عصـابة مـن المستعمرين الفرنسيين في تونس اِنـبرى الشـعراء للتعـبير عـن جليـل المصـاب متمسّكين بمبادئ التضحية و التحرّر والإنعتاق.
الشاعر الميداني بن صالح كتب في تلك المناسبة قصيدة منها :

مازال صوتك صيحة الحقّ الصُّرَاحْ
يا منْ سكبتَ دماءك الحمراء
فانبلج الصّباحْ
حشّاد يا فجر الحياة
ظنّ السماسرة الطغاة
أن يُطفئوا في عينك الخضراء
إشعاع الرّبيع
لن تستطيع

لن تستطيع عصابة الإجرام

لا.. لن تستطيع

لن يستطيع رصاص شرذمة الغزاة

حشّاد... حيٌّ... لن يموت

حشّاد... في كلّ البيوت (37)

وقد اِستلهم الشعراء المغاربة الحداثيون عديد الشخصيات الوطنية من الكفاح ضد الاستعمار وضمنوها معاني و رموزا جديدة في قصائدهم التي تنزع إلى التجريب و الإكتشاف مثل الشاعر المغربي جمال الموسوي في قصيدته ـ عبد الكريم الخطابي ـ التي يقول فيها :

يَنامُ على مَقْرُبةٍ من الحياةِ
ويصْحُو على حنينٍ،
قَدَمٌ في الزِّحَامِ
ويدٌ تبحث عن ضوءٍ في الجِدَار
أراهُ
على
غير
ثباتٍ، تزَّاورُ الشمسُ عنه
ذات اليمين
و ذات الشمال،
في سريره امرأةٌ
تكابدها المخيلةُ
و ينوءُ القلبُ بوجهها في الغيابْ.
أراهُ
في الأبدِ،
ينظر جهة الفراغ:
الضوء هارب بلا أدنى شكٍّ
بينما يتسرب اليقين إلى حلمهِ،
لم يرَ كوكبا
وَلا رَأساً تَأكُلُ الطَّيْرُ منهُ،
رَأى ظِلَّهُ يَمْرُقُ صَوْبَ الحياة
رأى الحيَاةَ امْرأةً في سريرتهِ
ورآني أرْعَى بالغَيْبِ سَنابلَ عُمرهِ،
الأرْضُ
التي مثْواهُ
ليسَتْ أرْضَهُ،
لذلك لم يبْرَحِ الحنينُ رميم عظامِهِ،
وَلَمْ
أشْتَهِ
مِنْهُ

غيْرَ ما يَصِلُ من صهيلٍ بعيدْ.
هو الكائِنُ ذاتهُ المشتبكُ، دائماً،
مع أشباحِ التاريخْ
الكَائنُ المسرفُ في التَّجلي
عيْنُهُ لا تنامْ
ويَدُهُ مُتأهّبَة بلا هوادَةٍ
الكائِنُ المغرق في الحضورِ
الحيُّ في أحضان الموتِ،
ينامُ على مقربةٍ من الحياة
ويصحو على حنينٍ
ثمَّةَ دائما ما يشبي بظلّه:
الهواء الذي يهُبُّ من القلب.
بياضات كتاب التاريخ،
وأنشودةٌ متوهجةٌ:
" أيا مولاي مُحَنْدْ أَمْجَاهَذْ أَمَقْرَانْ".
ينامُ على مقربَةٍ من الحياة
ويصحو على حنينٍ،
الأرْضُ
التي مثواهُ
لم تكنْ أرضهُ...
ولا
أرَى من ظلِّه
غير ما يصلُ من صهيلٍ بعيدْ. (38)

من خلال اِستعراضنا لأهمّ تجلّيات شعر المقاومة في المغرب العربي قديمًا

وحديثا يمكن أن نقف عند الاِستنتاجات التّالي :

- إنّه شعر يندرج ضمن مسار الشعر العربي حيث ينطلق من قيم الأمّة العربيّة في توقها إلى القيم الإنسانيّة الخالدة في الحريّة و الكرامة

- قد عبّرت المدوّنة القديمة في هذا الشعر عن خصال الفروسيّة الموروثة و أضافت إليها أبعادها الإسلامية باِعتبارها من أهمّ المكوّنات للشخصية المغاربية.

- إنّ الشّعر الذي صدر في غرض التصدّي للغزو الأجنبي كان مشوبا بمقولات الجهاد و الزّهد حينا و بأهداف الإصلاح و التحرّر من ربقة الاِستعمار حينا آخر .

- إنّ الإهتمام بالمضمون المباشر هو الغالب في القصائد باعتبارها ذودًا عن الذّات و دفاعًا عن الكرامة لتكون رسالة مضمونة الوصول تستوغبها الأغلبيّة المتلقّية

- كانت معاني شعر المقاومة في الشعر القديم مندرجة أحيانا ضمن غرض الحنين إلى الأوطان و رثاء البلدان .

- إنّ شعراء المغرب العربي بقدر إنطلاقهم في الذّود عن حريّة بلدانهم المغاربيّة بقدر تعبيرهم كذلك عن هواجسهم العربيّة في التحرّر و الكرامة والتضامن بين المشرق و المغرب.

و لا بدّ من الملاحظة أخيرًا أنّ أدبيّات المقاومة في المغرب العربي مسجّلة كذلك في تراث الأدب الشعبي من ناحية و كذلك في الآداب الأجنبية التي تقاطعت مع المنطقة في مختلف العصور فهو مازال في حاجة إلى الجمع من مختلف تلك المصادر المتنوعة و ما يزال في حاجة إلى الإطلاع والعناية .*

.....

** محاضرة ألقيت ضمن ندوات مؤتمراتحاد الأدباء العرب ببغداد في 25 جانفي 2001

الهوامش

1) أُنظر كتاب ـ فرناند بُرُوديل – البحر المتوسط – تعريب عمر بن سالم ـ دار أليف – تونس 1990

2) محمد فنطر – يوغرطة – الدار التونسية للنّشر – 1984 – صفحة 19

3) أُنظر: مقالات محمد البشروش – في مجلّة (العالم الأدبي) بداية من العدد -6- سنة 1935 و جمعها عبد الحميد سلامة في كتابه حول محمد الشروش – الدار التونسية للنّشر – تونس 1978

4) حسن حسني عبد الوهاب – مجمل تاريخ الأدب التونسي – مكتبة المنار – تونس 1968 – صفحة 31

5) اِبن قتيبة – الشعر و الشعراء – الدار العربية للكتاب – طرابلس – تونس – 1983 – الجزء 2 – صفحة 547

6) أبو الفرج الإصفهاني – الأغاني – طبعة دار الثقافة الجزء -6- صفحة -250-

7) أبو العرب بن تميم – طبقات علماء إفريقية – تحقيق علي الشابي و نعيم حسن اليافي – الدار التونسية – الدار الوطنية للكتاب – الجزائر 1985 – صفحة -68-

8) أُنظر: الدبّاغ – معالم الإيمان – تحقيق إبراهيم شبّوح – القاهرة 1968

9) سُوف عبيد – طلائع الشعر العربي في تونس – مجلّة المسار – عدد 43 – تونس جويليا 1999 – صفحة -52-

10) حسن حسني عبد الوهاب – مجمل تاريخ الأدب التونسي مكتبة المنار – تونس 1968 – صفحة 19

11) نفس المصدر صفحة -30-

12) نفس المصدر صفحة -62-

13) نفس المصدر صفحة -63-

14) الكامل لاِبن الأثير الجزء -5- صفحة 185 طبعة بيروت

15) حسن حسني عبد الوهاب –كتاب العمر- المجلّد الأوّل – طبعة بيت الحكمة – دار الغرب الإسلامي – 1900- صفحة -220-

16) نفس المصدر صفحة -219-

17) عثمان الكعّاك – الحضارة العربيّة في حوض البحر الأبيض المتوسط – معهد الدراسات العربيّة العالية – القاهرة 1965

18) حسن حسني عبد الوهاب – مجمل تاريخ الأدب التونسي مكتبة المنار –تونس 1968- صفحة 68

19) نفس المصدر صفحة -91-

20) نفس المصدر صفحة -99-

21) راجع كتاب عثمان الكعّاك – الحضارة العربيّة في حوض الأبيض المتوسّط – معهد الدراسات العربيّة العالية – القاهرة 1965

22) محمد الطالبي – تراجم أغلبية – الجامعة التونسية – تونس 1968 – صفحة 300

23) نفس المصدر صفحة -124-

24) حسن حسني عبد الوهاب – مجمل تاريخ الأدب التونسي مكتبة المنار –تونس 1968- صفحة 68

25) الزركلي – الأعلام – الجزء -4- صفحة 47 – العماد الأصفهاني – جريدة القصر و خريدة العصر – الدار التونسية للنشر 1986 – الجزء الثاني صفحة -194-

26) اِبن حمديس –الدّيوان – تحقيق إحسان عبّاس – طبعة دار صادر – بيروت – صفحة -3-

27) نفس المصدر صفحة -274-

28) انظر كتاب ـ حياة الأمير عبد القادر ترجمة الدكتور أبو القاسم سعد الله – الدار التونسية للنشر – تونس -1974-

29) ديوان محمد الشاذلي خزندار – الدار التونسية للنشر – تونس 1972 - صفحة - -50

30) ديوان محمد العيد آل خليفة –الجزائر- الطبعة الأولى – صفحة -319-

31) حسن حسني عبد الوهاب – مجمل تاريخ الأدب التونسي مكتبة المنار –تونس 1968- صفحة 286 وانظر كتاب محمّد باش حانبا – الشعب الجزائري و التونسي و فرنسا – بيت الحكمة – تونس 1991 ـ وكتاب ـمحمد صالح الجباري – يوميات الجهاد اللّيبي – الدار العربية للكتاب -1982-

32) محمد الفاضل اِبن عاشور – الحركة الأدبية و الفكرية بتونس – الدار التونسية للنشر -1972- صفحة -323-

33) نفس المصدر صفحة -326-

34) محمد الهادي المدني – الدار التونسية للنشر – تونس 1968- صفحة -41-

35) نفس المصدر صفحة -56-

36) مفدي زكرياء – اللّهب المقدّس – المكتب التجاري – بيروت- 1961 – صفحة -9- وانظر كتاب صالح خرفي – شعر المقاومة الجزائرية – الشركة الوطنية للنشر – الجزائر – الطبعة الأولى-

37) الميداني بن صالح – قرط أمّي – الدار التونسية للنشر – تونس 1983- صفحة -184-

38) موقع ـ دروب ـ و موقع ـ المثقف ـ على الأنترنت بتاريخ 29 / 12 / 2009